جامعة الأنبار
كلية التربية للعلوم الأنسانية
قسم التاريخ /الدراسات الأولية
المرحلة:الأولى/ المستوى الثاني
أستاذ المادة :أ.د.لطيف خلف الدليمي

المحاضرة التاسعة

مدينة الطائف :

مدينة الطائف ثالث مدينة من مدن بلاد الحجاز تأتي بعد مكة ويثرب من حيث الاهمية ،لذلك سنتناولها بالدراسة على النحو الذي سبق أن تناولنا فيه مدن بلاد الحجاز (مكة ،يثرب).

موقعها الجغرافي

تقع على بعد خمسة وسبعين ميلاً من مكة اذ تقع في الجنوب الشرقي منها ،ترتفع عن سطح البحر بمسافة تتدرج مابين اربعة الالاف إلى خمسة الالاف قدم على قمة جبل غزوان وهو من جبال السراة التي تمتد بمحاذاة البحر الاحمر وبذلك فأن الجبال تحيط من جميع الجهات ، مما أكسبها مناخاً عذباً،فضلاً عن موقعها الجغرافي كونها تعد نقطة التقاء الطرق المتصلة بجميع مناطق مكة عبر مناطق ومدن أخرى.

مناخها :

أمتازت الطائف بمناخ معتدل الحرارة في الصيف، والبرودة في الشتاء، بفضل موقعها الجغرافي ،وذلك لارتفاعها ،وكذلك وفرة مزارعها وبساتينها والتي تحيط بها من كل الجهات ، وأمطارها موسمية تكثر في فصل الربيع. وصفها البلدانيين والرحالة ومنهم المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم (بانها شامية الهواء باردة الماء)أي انها تشبه بلاد الشام من حيث المناخ لذلك اصبحت بمثابة مصيف لأهل مكة يلجئون اليها في الصيف بسبب ارتفاع الحراة عندهم،اما في الشتاء فيكون طقسها بارد سيما في الاجزاء الجنوبية منها التي قد تصل فيها درجة الحرارة إلى درجة التجمد.

التسمية:

لغة : تعني الطائف في اللغة العاس أو العسس الذي يقوم بحراسة المنازل.

اما تاريخياً :عرفت الطائف في العصور القديمة باسم (وج) نسبة الى وادي وج الذي ينسب الى وج بن عبد الحي ويرجع اصله الى العماليق ،في حين يذكر بعض المؤرخين البلدانيين ومنهم ياقوت الحموي في كتاب معجم البلدان أن تسميتها بالطائف نسبة الى رجلاً من الصدف يقال له الدمون بن عبد الملك كان قد قتل ابن عم له بحضرموت فخرج هارباً حتى نزل بمكان الطائف ، وتحالف مع احد اشرافها وهو مسعود بن معتب الثقفي ، وتزوج من ثقيف فاقام لهم في مقابل ذلك جداراً على شكل الطوق مثل الحائط حتى لايصل اليهم أحد من العرب فسمي الموضع بالطائف.

ذُكر في جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ انها سميت الطائف للحائط الذي بنته حولها ثقيف قبل الاسلام وهو التفسير الاقرب للصحة، ويحكى في الروايات التاريخية أن أبوطالب عم الرسول ﷺقال مادحا قومه في حماية الكعبة مستشهدا بدور أهل الطائف ثقيف في بناء حائط حماية من المهاجمين: حمينا بيتنا من كل شر *كما احتمت بطائفها ثقيف* اتاهم معشرا كي يسلبوهم * فحالت دون ذلكم السيوف* .وفي روايات أخرى: لأنها طفت على الماء في الطوفان أو لأنها كانت قرية بالشام أو جنة بصنعاء لأصحاب الصريم فاقتلعها جبريل عليه السلام، وطاف بها حول البيت ثم وضعها، أو أنها الجنة التي ذُكرت في قوله تعالي «عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها» وكانت في مكانها فاقتلعها وطُيف بها على البيت ثم ردت.

السكان:

ان الراجح لدى المؤرخين ان سكان الطائف الاصلين هم من قبيلة ثقيف وكانت لهم بيتاً يسترونه بالثياب ويطوفون حوله ويسمونه الربة كان بداخله صخرة مربعة تعرف باللات وكانوا يقدسونه الى درجة أنهم يعظمونه كتعظيم أهل مكة للكعبة.

فضلاً عن ثقيف فقد سكنها جماعة من حسير وهم أزد السراة وقوم من قريش من كنانة وعذرة ،وسكنها ايضا جماعة من قبيلة هوازن والاوس ومزينة وجهينة وطائفة من اليهود الذين سكنوها فيها للتجارة ، كما كان من سكانها قوم من الروم.

وسكن الطائف أيضا بنو إياد، وهم بطن عظيم من العدنانية، وهم بنو إياد بن نزار بن محمد بن عدوان، وكان لهم شرف ومنزلة في أهل تهامة. وقبيلة عدوان سكنت الطائف بعد إياد، وعدوان الجد اسمه الحارث بن عمرو بن قيس عيلان وسمي بعدوان لأنه عدا على أخيه فقتله. وتلاهم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة عبر حفصة بن قيس بن عيلان ثم توالى .عليها العرب حتى سادت قبيلة ثقيف التي منها هوازن وحكمت الطائف.

الاحوال الاقتصادية في مدينة الطائف:

يمكن القول أن الطائف تأتي من حيث الأهمية الاقتصادية بالدرجة الثانية بعد مكة وكثيراً ما اقترن اسمها بمكة فيقال مكة من الطائف والطائف من مكة وذكر اسميهما في القران الكريم اذ كانتا تسميان بالقرتيين في قوله تعالى ((وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)).

وتعد الزراعة اساس اقتصاد الطائف اذ امتازت بخصوبة تربتها ووفرة مياها وملائمة مناخها للزراعة ،كل ذلك ادى الى اشتغال اهلها بالزراعة وعلى نطاق واسع ،وبذلك انتشرت حولها المزارع والبساتين التي انفردت بإنتاج أنواع الفاكهة والخضروات ،وكانت تصدرها الى مكة التي يعتمد سكانها على ما تنتجه الطائف من فواكه ولعل في مقدمتها الرمان والموز والتين والعنب والزيتون والخوخ والبطيخ والقمح فضلاً عن تمور وكروم الطائف التي كانت مشهورة في بلاد العرب ،وقد وصف ياقوت الحموي جودة اعنابها بقوله((فيها العنب العذب ما لايوجد مثله في بلد من البلدان واما زبيبها فيضرب بحسنه المثل)).

والى جانب ذلك أشتهرت الطائف بتربية النحل اذ كان العسل احد أهم موارد الطائف الاقتصادية وله شهرة مميزة في بلاد العرب قبل وبعد الاسلام،كما استفادوا اهل الطائف من الغابات المجاورة لهم على سفوح جبل غزوان فاستفادوا من الحطب للوقود وكذلك صناعة الفحم واستخرجوا القطران ،فضلاً عن استغلال الغابات لصيد مختلف الحيوانات .

أما من عملهم في التجارة فذكرنا سابقاً موقعها الجغرافي على طرق القوافل التجارية من جهة الجنوب ، مما انعش التجارة فيها وكانت القوافل تخرج الى مكة محملة بالزبيب والقمح والعسل والاديم كل يوم فضلاً الى العطر والطيب الي يصدر الى مكة